دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن اهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن ان يعتقد بها و ان يكون مُحيطا و عارِفا بِدقائقها و لو بِشَكل اجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله و الصلاة على رسول الله و آله آل الله , و اللعن على اعدائهم و اعداء شيعتهم اعداء الله إلى يوم لقاء الله .

وصل الحديث بنا في الدرس الماضي في مسألة التوحيد و في معنى وحدانية الباري , بيَّنّا الادلّة على هذه المسألة و في هذا الباب , اقتطَفْنا انواعا مختلفة من الادلّة :

_ من أدلّة الكلاميين

_ من أدلّة الفلاسفة

_ من أدلّة الرياضيين

_ ممّا جاء في روايات اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم اجمعين

و بيَّنّا معنى التوحيد ايضا وفقا لِما جاء في الروايات الشريفة , بقيَتْ مسألة واحدة لم نُشِر إليها و لم و هو آخر شيء نتكلّم فيه في مسألة الوحدانية و بعد ذلك ننتقل إلى مسألة جديدة من مسائل باب التوحيد و هي الصفات الإلهية .

مراتب التوحيد بِحَسب التقسيم المعروف في كتُب علمائنا رضوان الله تعالى عليهم و هذا المعنى يمكن ان نستنبطَهُ من جملة من آيات الكتاب و كذا من الاحاديث المعصومية الشريفة :

_ هناك المرتبة الأولى من مراتب التوحيد : و هو التوحيد الذاتي

و نحن في هذا الدرس لا نريد الدخول في تفاصيل كل هذه المسائل و إنّما اذكرُها لك بِشَكل مُقتضَب باعتبار انّا تحدّثنا :

_ في مسألة وجود الباري

_ عن قضية واجبيه الوجود

_ تحدّثنا في مسألة الوحدانية و معناها

_ تَحدّثنا في مسألة خصائص العلّة , العلّة الحقيقية

هذه المعاني كلّها ترتبط بِهذا البحث و لذا الآن أُلَخّص لكم المطالب بِشَكل سريع , فقط إذا كانت هناك بعض المسائل تحتاج إلى بيان أُبَيِّنُها بِشَكل سريع .

و من العنوان يمكن ان نعرف بِشَكل اجمالي ما المراد من هذا التوحيد (التوحيد الذاتي) يعني توحيد مرتبط بالذات , بالذات الاولى , بالذات المقدسة , بِذات الباري تعالى شأنه و تقدَّس (التوحيد الذاتي) أي توحيد ذاته , و بِحَسب ما يقول علماء الإمامية و هذه المسألة واضحة في

_

التوحيد الذاتي توحيد مُرتبط بالذات الإلهية , ما مالمراد من التوحيد الذاتي ؟

:

, لا تركيب فيها و إنّما هي ذات بسيطة لأنّ المرَكَّب ناقص و لأنّ المُرَكَّب فقير و لأنّ المُرَكَّب مُحتاج في غاية الحاجة إلى اجزائه , هذا المعنى فيما سلَف شرَحناه , فأنّ الذات الإلهية ذات ليست مُرَكَّبة .

.

_ كما قال سيّد الاوصياء (احَديُ المعنى) و نحن شرَحنا الرواية و لو كان بِشَكل سريع لكن بالنتيجة المضامين العامة لِمَعنى التوحيد في الرواية بيَّنّاها في حينها , فالمراد من التوحيد الذاتي هو هذا الإعتقاد , الإعتقاد انّه احَديُ المعنى , كما قال خاتم الانبياء صلى الله عليه و آله و سلم في

_

فالمراد من التوحيد الذاتي بِهذا المعنى , ذات مُتفَرِّدة , ذاتٌ احَدية , بل هي اصلا كلمة (احَد) في اللغة الآن و إن كانت هذه ليست قضية في غاية الاهمية لكن هناك نكتة بِخصوص هذه الكلمة في لغة العرب , هذه الكلمة في لغة العرب , كلمة (الاحَد) اصلا لا تُطلَق في مقام الإيجاب و الإفراد على غير الله سبحانه و تعالى , حتى في زمن الجاهلية , لا تُطلَق على غير الله في مقام الإفراد و : يعني حينما يكون الكلام مُثبَتا , موجَبا ليس مَنفيّا , و حينما يكون الكلام مَنفيّا تُطلَق على غير الله

_ تقول : ما جاءني من احد _ تقول : ما جاءني من أحد _ في مقام النفي يمكن اطلاقُها على غير الله أمّا في مقام الإثبات لا تُطلَق على غير الله إلاّ في اضافة او تركيب

_ تقول : (جاءني احَدُهم) مُضافة ,

_ أو يُقال : (احَد عشَر) في الاعداد المُرَكَّبة , احَد عشَر ايضا مُضافة , لا تأتي هذه الكلمة في مقام الإيجاب _ في مقام الإيجاب و في مقام الإفراد تُطلَق على غير الله سبحانه و تعالى , حتى الاحَد لو أُطلِقَت يُراد يوم الاحَد او يُراد الاحَد من الايام , لا بد من تركيب في الكلام حينئذ , اصلا هذه اللفظة حتى في اللغة , لفظة (احَد) حتى في زمن الجاهلية مُختصة بالباري سبحانه و تعالى .

فالمراد من التوحيد الذاتي بِهذا المعنى : ذات أحَديةُ المعنى _ أحديّة المعنى _ يعني ليست مُرَكَّبة و لذلك ماذا قال أمير المؤمنين ؟ احَديُ المعنى , أي انّه لا ينقسم لا في وجود و لا في عقل و لا في وَهم , ليس مُرَكَّبا , لا شريك له , لا مِثلَ له و لا ضدَّ له سبحانه و تعالى , هذا المعنى الإجمالي لِمَعنى التوحيد الذاتي .

:

التوحيد ألصفاتي _ الكتاب الكريم في الغالب لا يُرَكِّز على هذَين المعنيَين من التوحيد و إنّما الكتاب الكريم يُرَكِّز على معنيَين آخَرين من معاني التوحيد , لا يعني انّ الكتاب لم يتحدَّث عن التوحيد الذاتي و الصفاتي , الكتاب تحدَّث عن هذَين المعنيَين لكن تحدَّث بِشَكل الإشارة , بِنَحو الإيجاز , أمّا في الغالب , الكتاب الكريم و حتى النصوص المعصومية الشريفة و إن تحدّثَتْ عن التوحيد الذاتي , تحدّثَتْ عن التوحيد الصفاتي نصوص عندنا لكن في الغالب الذوق و المذاق الموجود في

الكلام عن هذَين التوحيدَين , التوحيد الذاتي و الصفاتي القرآن اشارَ إلى هذين التوحيدَين و هُما اصل التوحيد اصلا لكن لأنّ اعمال الإنسان و هواجس الإنسان و حياة الإنسان يكون لها مُماسّة بِمَعنى التوحيد الافعالي اكثر و بِمَعنى التوحيد العبادي اكثر لذلك وردَ التركيز على هذين التوحيدَين في القرآن و في الروايات .

:

التوحيد ألصفاتي الكلام فيه طويل لكن خلاصة الكلام في التوحيد الصفاتي هكذا : هذه الكلمة ربّما تَحفظونها (صِفاتُه عَينُ ذاته) التوحيد الصفاتي هو المراد هكذا : أنّ الإنسان يعتقد أنّ صفات الباري عَينُ ذاته (صفاتُه عَينُ ذاته) بِعبارة اخرى ما المراد من صفاته _ ما المراد من صفاته عين ذاته , صفاتُه ذاته و ليس صفاتُه معزولة عنه و ليس صفاتُه منفصلَة عنه _ لأنّه هناك من الفِرَق مَن اعتقدَتْ بأنّ صفات الباري زائدة على الباري , زائدة يعني مُنفصلة عن الباري _ زائدة يعني منفصلة عن الباري , هناك من الفرَق من اعتقدَتْ , في كتُب الاشاعرة يوجد هذا المعنى , انّ الصفات السبعَة الثبوتية و التي ربّما يأتي الكلام عنها في حديثنا عن الصفات الإلهية , هذه صفات زائدة على الذات الإلهية و لذا نحن في عقيدتنا هذا المعنى نَرفضُه _ هذا المعنى نرفضه لأنّ الذي جاء في روايات المعصومين : أنّ صفات الباري عَينُ ذاته , هذا المعنى هو الذي وردَ , و انّنا لا نعتقد بِزيادة الصفات على الذات او انّ الصفات عارِضة على الذات , إنّما (صِفاتُه عَينُ ذاته) في عَين انّه عالِم في عَين انّه قادر في عَين انّه حَي , علمُه قُدرَتُه و علمُه و قدرَتُه حياتُه , و حياتُه علمُه و قدرَتُه , هو هذا المراد من (صفاته عَين ذاته) جلَّت قدرتُه و جلَّت ذاتُه و تقدَّس شأنُها , هذا من جهة الروايات الشريفة

:

نحن ثبَّتنا في الدروس الماضية انّه لا بد من وجود واجب الوجود و تَحدّثنا عن معنى واجب الوجود و تَحدّثنا عن معنى وحدانية واجب الوجود , فَهُنا نقول هذه الصفات , إذا لم تَكُن _ إذا لم تكن هذه الصفات هي عَين ذاته سبحانه و تعالى فأينَ تكون هذه الصفات ؟

هناك طريقان في الإستدلال :

الطريق الأول : إذا لم تَكُن هذه الصفات عينَ ذاته سبحانه و تعالى فإمّا ان تكون هذه الصفات داخلة في ذاته لكن ليس هي عَين ذاته , داخلة في ذاته و حينئذ سيَكون مُرَكَّبا و المُرَكَّب ليس هو واجب الوجود , واجب الوجود لا بد ان يكون بسيطا كما تَحدّثنا فيما سلَف , فإذا قُلنا هذه الصفات التي هي ليس عَين ذاته داخلة فيه كان مُرَكَّب , خارِجة عنه ؟

_ فإذا كانت خارِجة عنه , ماذا ؟ هي واجبة الوجود او ممكنة ؟

_ إذا كانت واجبة الوجود , هذه الصفات , فتَعدَّدَ واجب الوجود و هذا باطل كما تقدَّم الكلام في ادلّة إثبات وحدانية الباري

_ فإنْ لم تكُن واجبة الوجود كانت ممكنة و حينئذ إذا كانت ممكنة يعني انّها ليست قديمة , يعني انّ الله لم يكُن عالِما ثم خلقَ صفة العلم بعد ذلك و اكتسبَ صفة العالِمية من خَلقه و هذا اكبر النقص حينئذ , إذا لم يكُن عالِما و بعد ذلك خلقَ صفة العلم و اكتسبَ صفة العالِمية بِسَبب ما خلَق , يعني انّ هذه الصفات الكمالية نُسِبَتْ إليه بعد ان خلَقَها فَهذا كلام باطل , هذا طريق في الإستدلال على هذه المسألة .

:

قالوا هذه الصفات إذا كانت ليس هي عَين الذات و إنّما خارِجة عن الذات , هذه الصفات اين هي ؟ اين وجودها , اين حقيقتها ؟ هذه الصفات مُتقَوّمة بالذات _

_ يعني متقَوّمة بالذات : عارِضة على الذات كما يَعرض المرض على الإنسان مثلا و إن كانت الامثلة تُقَرِّب من وجه و تُبَعِّد من وجه _

_ إنْ كانت عارِضة على الذات فَصارَتْ الذات محَلاً لِشَيء آخر و الذات ليست محلاً لِشَيء آخر لأنّها إذا كانت محلاً لِشَيء آخر كان هذا نقص في الذات الإلهية .

_ و إمّا لم تكُن قائمة بالذات فإمّا انّها قامَتْ بَغَير الذات , و إذا قامَتْ بِغَير الذات يعني لا بد انّها قامَتْ بِواجب وجود باعتبار انّ هذه الصفات قديمة , فإذا قامَتْ بِغَير الذات يعني قامَت بِواجب وجود آخر فتَعدَّدَ واجب الوجود و هذا باطل اصلا لا قيمة له .

_ أو أنّها قامَتْ بِنَفسها و هذا ابطَل من الكلامَين السابقَين , حينئذ ستَكون كل صفة واجب وجود , و الصفات الإلهية غير محدودة , يعني انّ واجب الوجود حينئذ سَيتَعدَّد عدداً كثيرا

و لذلك الروايات الشريفة تقول : (صفاتُه عَينُ ذاته , و تَمام توحيده) ما هو ؟ و تَمام توحيده . في الروايات . نَفيُ الصفات عنه , تَمام توحيد الباري نَفيُ الصفات عنه

) : نفيُ الصفات يعني ان لا نعتقد انّ صفات الباري زائدة على ذات الباري , عارِضة على ذات الباري كما اتَّصفُ انا بأوصاف و كما تتَّصفُ انت بأوصاف _ الآن هذا لون البشرَة عند الإنسان أليس صفة من أوصاف الإنسان ؟ لون البشرَة شيء عارِض يمكن ان يتغيَّر , يمكن ان يزول , صفة العلم عند الإنسان صفة زائدة , يمكن ان يكون الإنسان جاهلا , ينسى علمَهُ فيَجهل _ المراد من انّه صفات الباري ليس صفات زائدة , بِهذا المعنى , الآن الإنسان صفَة العلم عندَه ليس صفَة ذاتية و إنّما صفَة زائدة بِدَليل انّ الإنسان يمكن ان يجهَل , و سائر الصفات الاخرى في المخلوقات صفات زائدة , أمّا في الباري , هو هذا المقصود من معنى (صفات زائدة) لَمّا نقول : (صفاتُه عَينُ ذاته) هذا المراد _ الآن المخلوقات فيها صفات , هذه الصفات زائدة عنها , ليس في ذاتها , يمكن ان تزول و يمكن ان تتغَيَّر , بشرَة الإنسان تتغيَّر كذلك علم الإنسان يمكن ان يتغيَّر , سائر المعاني الاخرى , الشجاعة عند الإنسان يمكن ان تتحوَّل إلى جُبن , الإنسان الشجاع يمكن ان يكون جبانا في يوم من الايام , هذا الإنسان الكريم يمكن ان يكون بخيلا في يوم من الايام , هذه الصفات اولاً يمكن ان تزول و قابلة للتغيير و التبَدُّل , هذا الذي يُقال له (صفات زائدة) .

فَصفاتُه عَينُ ذاته و لذلك سيّد الاوصياء , إذا تتذَكّرون , في اول درس من دروس نهج البلاغة , في اول خطبَة من خُطَب النهج الشريف هذا المعنى موجود و في حينها شرَحتُ هذا المعنى :

أولُ الدينِ معرفَتُه , و كمالُ معرفَتهِ التَصديقُ به , و كمالُ التَصديق به تَوحيدُه , و كمالُ تَوحيده الإخلاصُ له , و كمالُ الإخلاص له نَفيُ الصفات عنه _ نفيُ الصفات عنه لماذا ؟_ لِشهادة كل صفَة انّها غير الموصوف , و شهادة كل موصوف انّه غير

الصفَة , فمَنْ وصفَ الله سبحانه فقد قرَنَه , و مَن قرَنَهُ فقد ثنّاه , و مَن ثنّاهُ فقد جزّأه , و مَن جزّأهُ فقد جَهِلَه , و مَن جَهِلَهُ فقد اشارَ إليه , و مَن اشارَ إليه فقد حدَّه , و مَن حدَّهُ فقد عدَّه , و مَن قال فِيمَ فقد ضمَنّه , و مَن قالَ عَلامَ فقد اخلى منه , كائنٌ لا عن حَدَث , موجود لا عن عدَم , مع كل شيءٍ لا بِمُقارَنة , و غير كل شيء لا بِمُزايَلة , فاعِل لا بِمَعنى الحرَكات و الآلة , بَصيرٌ إذ لا منظور إليه من خَلقه , مُتوَحِّد إذ لا سكَنَ يستأنسُ به , و لا يستَوحشُ لِفَقده }.. إلى آخر الخطبة الشريفة , هذه الخطبة من اوسَع الخُطَب و من اكثرها مضامين علمية دقيقة في معنى التوحيد من خُطَب النهج الشريف , لكن مورد الشاهد هنا : (و كمالُ الإخلاص له نَفيُ الصفات عنه) فنَفيُ الصفات هو هذا المراد , انّنا نعتقد انّ الصفات الإلهية انّما صفاتُه عَينُ ذاته , بالضبط إذا ارَدنا ان نُقَرِّب المعنى بِمثال هكذا , نقرب لكم المعنى بمثال : الآن كل واحد منّا , و كل مخلوق _ كل مخلوق , الآن كل عبد من عبيد الله مخلوق لله و مقدور لله و معلوم عند الله , الآن انت , أليس انت مخلوق خلقَكَ الله , و هذه صفَة الخالقية _ مخلوق خلقك الله وهذه صفة ألخالقيه , صفَة ألخالقيه في الباري تَجلَّت في خلقه , فأنت مخلوق , و انت معلوم , ألا يعلم بك الباري ؟ انت معلوم عند الله , و , هذا بالنسبة لله , الباري , بالنسبة للباري سبحانه و تعالى في عَين انّك مخلوق في عَين انّك معلوم في عَين انّك مقدور , يعني :

_ لا يوجد فيك جانب منك يُسَمّى (مقدور) هذا يرجع للقدرة الإلهية

_ و لا يوجد فيك جانب يُسَمّى (معلوم) هذا يرجع للعلم الإلهي

_ و لا يوجد فيك جانب يُقال له (مخلوق) هذا يرجع للخالقية الإلهية و إنّما انت في عَين ما انت مخلوق في عَين ما انت مَقدور في عَين ما انت معلوم هو انت واحد عند الله , مخلوق معلوم مقدور , في نفس الوقت هو خالِقُكَ و قادِر عليك و عالِم بك , لا يوجد هناك تفكيك و فَصل بين الصفات الإلهية , فَفي عَين قُدرَته في عَين علمه , علمُه هو قدرَتُه و قدرَتُه هو علمُه , هذا في الذات

ـ أمّا في اللغة نعم هناك فارِق بين كلمة العلم و كلمة القدرة , في عالَم المفاهيم الذهنية هناك فارِق , هذا البحث يأتينا حينما نَتحدَّث عن الصفات الإلهية , إذا وصلَ الحديث بنا إلى الصفات الإلهية حينئذ نُفَرِّق , ربّما الآن المعنى ليس واضح بِشَكل دقيق لكن هذا معنى اجمالي لأنّنا الآن في مقام تعريف مراتب التوحيد , في هذا المقام , إذا وصلَ الحديث إلى الصفات الإلهية , قبل ان ندخل في ذِكر معاني الصفات الإلهية بِشَكل اجمالي أُبَيِّن لكم مقدمة عن المراد من معنى الصفة الإلهية و متى نتمكن ان نَصِفَ الله و متى لا نتمكن ان نَصِفَ الله سبحانه و تعالى .

: أن نعتقد أنّ صفات الباري عَينُ ذاته سبحانه و تعالى , هو هذا التوحيد الصفاتي (و كمالُ الإخلاص له) كما قالَ سيّد الاوصياء في الخطبة قبل قليل (نَفيُ الصفات عنه) تمام توحيده , في الروايات (تَمام تَوحيده نَفيُ الصفات عنه) سبحانه و تعالى .

فإذن الآن اصبحَتْ عندنا صورة عن التوحيد الذاتي , و اصبحَتْ عندنا صورة عن التوحيد الصفاتي , لكن في الغالب القرآن يُرَكِّز على المعنيَين او المرتبتَين الباقيتَين من مراتب التوحيد المهمة و المعروفة و هو :

, اصلا لا اختلاف في هذا المطلب و في هذا المعنى , في مسألة اعتناق التوحيد الذاتي بِهذا المعنى و في مسألة اعتقاد التوحيد الصفاتي بِهذا المعنى , لا يوجد خلاف اصلا في هذه المسألة بين علماء الطائفة و الروايات الشريفة واضحة في هذا المعنى , إن شاء الله ربّما إذا تناولنا طائفة من الروايات في بحث الصفات ربّما تَتجلّى لكم بعض هذه المعاني التي اشَرتُ إليها .

:

الآن صارَ عندنا توحيد ذاتي , توحيد صفاتي , توحيد افعالي و يجب على الشيعي الإثنَيْ عشري ان يعتقد بِهذا و إلاّ لا يُقال للإنسان موَحِّد ما لم يعتقد بالتوحيد الذاتي و الصفاتي و الافعالي و العبادي .

التوحيد الافعالي _ التوحيد ألأفعالي خلاصَتُه هكذا : كل الأفاعيل لله _ كل الأفاعيل لله سبحانه و تعالى _

_ أفاعيل واضح : يعني كل الافعال في هذا الوجود , في هذا الكون , في هذه الحياة , عَبِّر ما شئتَ من العبارات , كل هذه الافاعيل مرَدُّها إلى الباري سبحانه و تعالى , هو الفاعل الاصيل و هو الفاعل الاحَد الواحد و لا فاعل غيره , و إذا كانت هناك عِلَل تفعل في هذا الكون فَهذه العِلَل تفعل بِفعل الباري , الباري هو الذي اعطاها الفاعلية _ تتذَكّرون حينما تَحدَّثنا عن معنى قول الفلاسفة انّ الباري حَدُّه عدم الحد , تتذَكّرون كيف بيَّنتُ لكم مراتب الموجودات و انّ الموجودات تبدأ من نقطة , النقطة الاولى , المرتبة الاولى من مراتب الموجودات و هي التي يصطلح عليها الفلاسفة , هذا المصطلح الفلسفي المعروف , مصطلح لاتيني (الهيولى) او الحالة الاولى _

هذه أول مرتبة من مراتب الوجود و التي يُعَبِّر عنها الفلاسفة انّها في غاية عدم الفعلية و في غاية الإنفعال , يعني قابلة للإنفعال في كل معانيه و ليس فيها فعلية مطلقا , اكثر منها رتبة , يكون الإنفعال فيها اقَل و فيها فعلية اكثر و هكذا مراتب الموجودات ترتَقي , كلّما ارتقَتْ مرتبة الموجود قريبة من الباري , الإنفعال فيها يَقل و الفاعلية تزداد فيها , حتى تَصل إلى الله سبحانه و تعالى الذي لا ينفَعل مطلقا و يفعَل مطلق _ يفعل مطلق , و هذه الموجودات نسبة الفاعلية الموجودة فيها هي من الله , من الذي يفعل مطلقا و لا ينفَعل مطلقا , أمّا الموجودات كلّها تنفَعل

_ عبادُكَ انفعال , حتى الصادر الاول , يعني حتى الحقائق الاولى (لا فرقَ بينكَ و بينها إلاّ انّهم عبادُك و خَلقُك) عبادُكَ و خَلقُك , انفعال , انفعال في الحقائق الاولى لأهل البيت , وجه , على أي حال ليس الآن البحث في هذه المسألة , ربّما في دروس آتية نتناول مثل هذه المطالب و هذه الموضوعات .

فالمقصود من التوحيد الافعالي هو هذا المعنى : أنّ الأفعال من الله , غاية ما نراهُ في الكون _ غاية ما نراه , أنّ هناك عِلَل , هذه يَدي تَحمل هذا الكتاب , هذه علّة تقَع في طولية ..

(إلى هنا ينتهي الوجه الاول من الكاسيت) .

.. يَدي هي التي حملَتْ الكتاب , نحن الإمامية هكذا نعتقد , الاشاعِرَة لاحِظوا , و إن كان نحن لَسنا في صدد المقارنة بين عقيدتنا و عقائد الفِرَق الاخرى لكن حتى يتَّضح عندكم الامر , لا يلتبس , اذكر هذا المثال و إلاّ نحن لَسنا في مقارَنة بين عقائدنا و مناقشة عقائدهم , ليس في هذا المقام لكن حتى تتَّضح عقيدتنا نحن الإمامية في هذه المسألة .

_ الاشاعرة هكذا يقولون : ماذا يقولون في كتُبهم ؟ الاشاعرة يقولون , الافاعيل كلّها لله , هو الذي فعَلَها , الباري سبحانه و تعالى , يقولون مثلا على سبيل المثال _ على سبيل المثال : يقولون إنّ الماء ليس هو الذي يروي الإنسان , الماء علّة لإرواء الإنسان , الآن حينما أتناول الماء ألا تنطفيء حرارة العطش , الماء علّة لِرَيّ الإنسان , لِسَدّ ظمأهِ , الاشاعرة ما يقولون هكذا

_ نحن نقول : أنّ الماء علّة لِرَيّ الإنسان , و الماء هو الذي سدَّ ظمأ الإنسان لكن هذه القدرة الموجودة في الماء من الله

_ الاشاعرة ما يقولون هكذا , الاشاعرة يقولون : إنّ الذي سدَّ ظمأ الإنسان الله , لكنّ الله اعتادَ هكذا انّه يَسُدّ ظمأ الإنسان حينما يدخل الماء في جوف الإنسان , يعني ليس انّ الله اودَعَ في الماء قابلية الإرواء .

الثلج بارد , نأتي بِماء ليس بِبارد نضَع فيه الثَلج , الثَلج يُبَرِّد الماء ,

_ نحن نعتقد هكذا . الإمامية نعتقد : أنّ الثلج هو الذي برَّدَ الماء لكنّ الله هو الذي اعطى قابلية التبريد للثلج

_ الاشاعرة يقولون : لا , الثلج ليس هو الذي برَّد الماء , الذي برَّد الماء الله مباشرة و لكن اعتادَ الله ان يُبَرِّد الماء حينما يكون الثلج في الماء , يعني هناك مقارنة , ليس انّ الثلج فيه قابلية التبريد و هذا خلاف الواقع الموجود _ خلاف الواقع الموجود المحسوس و إن كان المحسوس ليس دليلا و إنّما نحن نَحتَج بِهذه المعاني , اولاً أنّها موافِقَة للعقل فضلا عن انّها موافقة للواقع و النصوص

القرآنية و النصوص المعصومية (مَن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق _ من لم يَشكُر المخلوق لم يَشكُر الخالق) هناك شُكر يتعلَّق بالمخلوق , يعني أنّ المخلوق يفعل لكن فعل المخلوق , لأنّه إذا قُلنا هكذا حينئذ لا يُلام انسان على ذنبه , حينئذ الإنسان حينما يزني _ حينما يزني الإنسان _ حينما يزني يكون الله هو الذي فعل هذا الامر لكن اعتادَ الله ان يجعل هكذا الأمر في هذه الظاهرة و هذا معنى التجبير في الافعال , على أي حال لا نريد الدخول في هذه القضية , في هذا المبحث .

لكن عقيدتنا نحن الإمامية هكذا نعتقد في التوحيد الافعالي هو هذا : أنّ الأفاعيل كلّها لله , الفاعل المؤثِّر , لا مؤثر في الوجود إلاّ الله , لكن هذه يَدي كيف حملَتْ الكتاب ؟ يَدي هي التي حَملَتْ الكتاب لكن القوة المودَعة فيها , هذه الفعلية , الفاعلية الموجودة من اين جاءت ؟ من الله سبحانه و تعالى , أمّا يَدي هي التي حملَتْ الكتاب , لا نقول هكذا انّ الله حمَلَ الكتاب لكنّ الله اعتادَ ان يحمل الكتاب حينما تكون اليد قريبة من الكتاب , و إنّما نقول هكذا , انّ اليد حملَتْ الكتاب لكن بِفاعلية من الله , الله هو الذي اعطاها القدرة , الله هو الذي اعطاها القوة , الله هو الذي اعطاها القابلية على هذا الامر .

_ فنَقول : أنّ هذه العِلَل الموجودة في الكون _ هذه العلل الموجودة في الكون , هذه عِلَل فاعليتُها تقَع في طولية فاعلية الباري , في طولية فاعلية الباري ماذا ؟ يعني أنّ فاعلية الباري تَتجلّى في مظاهر , مراتب , مراحل , الطولية هكذا : مثل السلسلة _ مثل السلسلة , طولية , هذه الآن سلسلة واحدة _ سلسلة واحدة , ربَطتُ هنا كتابا , ربَطتُ هنا منديلا , ربَطتُ هنا مرآة , ربَطتُ هنا قلَما , بالنتيجة هذه كلّها تقَع في طولية السلسلة , هذه الاشياء كلّها مربوطة بِهذه السلسلة , الموجود في آخر السلسلة و الموجود في اول السلسلة كلّهُ واقع في طولية السلسلة , فَهذه العِلَل التي , هذه . مثلا . النار , هذه الشمس , هذا الضوء , هذه اليَد و هكذا , و هذا الثلج و هذا السُكَّر و سائر الامور الاخرى حينما تؤثر في الاشياء , هذه كلّها مرتبطة بأيّ شيء ؟

_ مرتبطة بِسلسلة فاعلية الباري لذا يقولون هكذا : أنّ هذه العِلَل واقعة في طولية فاعلية الباري , في طولية فاعلية الباري هو هذا معناها , هذه العبارة ربّما تقرأُها في كتُب الفلسفة , يقولون هكذا انّ هذه

العِلَل واقعة في طولية فاعلية الباري , في طولية فاعلية الباري , هذا مثال السلسلة يُقَرِّب المعنى إلى اذهانكم نوعا ما .

فالتوحيد الافعالي هو هذا : الأفاعيل راجعة إلى الباري سبحانه و تعالى , و العِلَل ليس مُنفَكّة عن علّة العِلَل , إذا تتذَكّرون , انا قلتُ في بداية الدروس هناك كثير من المطالب اذكرُها لكم في اثناء الدروس , هذه المطالب التي اذكرُها مقدمات و قواعد تَحتاجونها على طول دراسة العقائد , مثلا درَسْنا خصائص العلّة الحقيقية , هذا البحث يرتبط بِكَلامنا هنا , بِمَسألة التوحيد الافعالي _ بمسألة التوحيد ألأفعالي , قُلنا أنّ علّة العِلَل ما هي خصائصُها ؟

_ أولاً أن تكون موجِدَة _ أولاً أن تكون موجده

_ و ثانيا أن لا تكون خاضعة للموانع و الشروط

_ و ثالثاً قادرة على التبديل و التغيير و الإعدام

_ و رابعا تكون لها الحاكمية و المالكية , الاوصاف

_ و من جملة ما ذكَرنا , تكون لها القَيّومية , تكون لها القيوميّة _ ما المقصود ؟

يعني أنّ هذه العِلَل تبقى تؤثر بِسَبب قيومية علّة العِلَل , لأنّ علّة العِلَل يوصِل إلى هذه العِلَل :

_ الفَيض _ القدرة _ القوة _ القابلية _ الفاعلية _

_ فَلأنّ علّة العِلَل , لأنّ الذات الاولى هي التي توصِل و لذلك قُلنا انّ العلّة الحقيقية , علّة العِلَل , غاية الغايات , امَل الآمال , الذات الاولى المقدسة , هذه المعاني قُلنا هي العلّة الحقيقية و العلّة الحقيقية لا بد ان تكون لها القيومية على مَعاليلها , لا بد ان تكون لها القيومية حتى على هذه العِلَل الإضافية في طول سلسلة العِلَل , على أي حال هذا البحث يَحتاج إلى تفصيل اكثر من هذا لكن نحن الآن في مقام الإيجاز فنَقول انّ التوحيد الافعالي هو هذا , نعتقد هكذا , هذه التفاحة حينما أأخذها فآكلُها _ أكل هذه التفاحة , فأستَذوق حلاوة طعمها فأقول : (التفاحة حلوَة) يَحقُّ لي ان اقول هذا و انسِب الحلاوة إلى التفاحة , لكن لا انسِب الحلاوة إلى التفاحة انّها هي التي اوجدَتْ الحلاوة , إذا هكذا اصبحتُ مُشرِكا , إنّما انسِب الحلاوة إلى التفاحة لأنّه فعلا الآن هذه تفاحة و فيها حلاوة , أمّا النسبة الحقيقية لها , الحلاوة من الله سبحانه و تعالى , الباري هو الذي اعطى هذه

التفاحة الحلاوة , فَهذه الحلاوة في اصلها منه سبحانه و تعالى , هذا الطعم الجميل , هذا المذاق اللطيف منه , أمّا لا يعني انّه لا يُنسَب إلى التفاحة , لا يُنسَب إلى هذا الطعام , فنَحن نعتقد انّ الافاعيل عائدة للباري و هو الفاعل و هو المؤثِّر و لا مؤثِّر سواه , هذا المعنى من التوحيد يؤكِّد عليه القرآن كثيرا , لماذا يؤكّد القرآن على هذا المعنى ؟ لماذا تؤكّد الادعية ؟ بالذات الادعية الشريفة , الادعية الشريفة ربّما اكثر تأكيدا من غيرها من النصوص , الآن إذا تقرأ الادعية , أي الادعية , على سبيل المثال تقرأ المناجاة المروية عن الإمام السجّاد , تقرأ ادعية الصحيفة , دعاء كُميل , دعاء ابي حمزة , دعاء عرفات , تَجد انّ الافاعيل هناك تركيز عليها في الادعية تُنسَب إلى الباري , تركيز واضح على الافاعيل تُنسَب إلى الباري سبحانه و تعالى , دائما هذا المعنى واضح في الادعية لأنّ العبد إذا التفتَ إلى هذا المعنى حينئذ يتمكن ان يَتخلَّص من الشرك , ربّما الإنسان يعتقد بِالتوحيد الذاتي و يعتقد بالتوحيد الصفاتي لكن لا يلتَفِت , الإنسان في التوحيد الذاتي , في التوحيد الصفاتي إذا لم تكُن عندَهُ شبُهات لا يُشرِك , يعني إذا عرفَ التوحيد هكذا , أمّا الإنسان يمكن أن يكون مُشرِكا في هذا التوحيد , حينما يَنسِب الامور إلى غير الله و خصوصا في الجانب العمَلي , حينما يتعامَل مع الامور و كأنّها عائدة إلى المخلوقات , ليس عائدة إلى الله سبحانه و تعالى , و معنى الدعاء من هنا , أليس عندنا انّ الدعاء يَرُدّ القضاء و لو كان مُبرَما , يَرُدّ القضاء _ القضاء , القوانين التي تكون في باب القضاء وفقا للمسار الطبيعي , وفقا للسُنَن الكونية الحاكمة لِهذه الحياة , أمّا الدعاء يأتي فَيُغيِّر , لماذا ؟

_ الدعاء يأتي فَيُغَيِّر لأنّ العبد إذا دعا و كان صادقا في دعائه , معنى الدعاء هكذا : انّه يا إلهي هذه القوانين و هذه العِلَل الإضافية التي انت اعطَيتَها هذه القدرة على التغيير و الفعل و التبديل في الحياة ليست هي هذه الاصل و إنّما انت الاصل و انت العلّة فأنا الجأُ إليك , في دعائي , معنى الدعاء هو هذا , الدعاء يَتفرَّع و العبادة و سائر المعاني العقائدية تتفرَّع عن هذا التوحيد و لذلك انا في اول كلامي قلتُ , القرآن و الروايات و بالذات الادعية , كم عندنا من الادعية عن اهل البيت ؟ ادعية كثيرة جدا جاوزَتْ المئات من الادعية و المُناجيات الشريفة عن اهل بيت العصمة صلوات الله عليهم اجمعين , اعداد هائلة من الادعية لِمُختلَف حالات الإنسان النفسية , لِمختلَف الازمنة و

لِمُختلَف الامكنة , هذه الادعية كلّها تُرَكِّز على هذا المعنى , على معنى التوحيد الافعالي , انّ الافاعيل منسوبة إلى الله سبحانه و تعالى , نعم تُنسَب إلى هذه المخلوقات , هذه المخلوقات واقعة في طولية سلسلة فاعلية الباري سبحانه و تعالى , هذا بِشَكل اجمالي معنى التوحيد الافعالي .

:

التوحيد ألعبادي و إن كان قد يحتاج إلى بيان مُفصَّل في شرائط العبادة التي تكون مُتفَرِّعة عن التوحيد العبادي لكن مثل هذه المطالب نحن نوكِلُها إلى دروس الاخلاق , إلى دروس اخرى في تفسير القرآن , إلى مباحث اخرى و إنّما أُعَرِّف لكم التوحيد العبادي بِشَكل موجز كما عرَّفتُ لكم , و باعتبار التعريف واضح لا يحتاج إلى توضيح لذلك لا أُطيل الكلام فيه .

التوحيد العبادي هكذا معناه : أن تكون العبادة لله فقط و لا يَستحقُّ احَدٌ العبادة ابداً , فالعبادة لله فقط و لا يُعبَد غير الله , هو هذا المراد من التوحيد العبادي , اظنُّ هذا المعنى لا يحتاج إلى تفصيل في بيان معنى هذه الفقرة من الكلام , نعم نحن بِحاجة إلى معرفة شرائط العبادة , هذا المطلب نوكِلُه إلى دروس اخرى , نوكِلُه إلى موضوعات و مباحث اخرى حتى لا يتشَعّب الكلام كثيرا , و هذه هي المرتبة الرابعة من مراتب التوحيد , التوحيد العبادي , لكن لا يعني انّ مراتب التوحيد محصورة فقط في هذه المعاني الاربعة لكن هذه المعاني الاربعة من التوحيد التي لو اعتنَقَها الإنسان , يكون الإنسان موَحِّداً , أمّا لا يعني انّه قد ترَقّى في مراتب التوحيد العالية , في مراقي التوحيد و مراقي القُرب و مراقي البصيرة و الإقتراب من الحضرَة الإلهية , لا يعني هكذا , لكن الذي يعتقد بالتوحيد الذاتي و الصفاتي و الافعالي و العبادي يكون موَحّدا , شريعتُنا هكذا تَفرِض علينا , روايات اهل البيت هكذا تقول , النصوص القرآنية هكذا تقول : لا بد من الإعتقاد بالتوحيد الذاتي و الصفاتي و الافعالي و العبادي , و هناك مراتب اخرى من التوحيد ايضا يَجب على الإنسان المؤمن ان يتعقد بها , هناك مراتب اخرى .

:

أنّ يعتقد الإنسان انّ الحاكم في هذا الوجود هو الله لا غير , انّ الحاكم هو الله , حينما نقول (الحاكم هو الله) بِحَسب نظر الإمامية , الإمام المعصوم هو الحاكم ايضا لأنّ الله هو الذي نصَّبَه , حينما نقول _ حينما نقول أنّ الله هو الحاكم و نعتقد بِحاكمية الإمام المعصوم , اعتقادُنا بِحاكمية

الإمام المعصوم اعتقاد بِحاكمية الله (مَن اطاعَكُم اطاعَ الله , مَن عصاكُم عصى الله , مَن احبَّكُم احَبَّ الله , مَن ابغَضَكُم ابغَضَ الله) و هكذا , مَن والاكُم والى الله , مَن عاداكُم عادى الله , الكلام هنا حينما نَنقلُه إلى المعصوم يبقى الحديث في توحيد الحاكمية , انّه ليس من حاكم في الوجود إلاّ الله , و حينما نعتقد بِحاكمية المعصوم , نعتقد بِحاكميّته على نحو التفَرُّع من حاكمية الله .

:

التوحيد في الطاعة يعني : أنّ الذي له حقّ الطاعة على العباد . علينا . هو الله و لا يُطاع احَدٌ غَيرُه و طاعةُ المعصوم طاعَتُه (مَن اطاعَكُم اطاعَ الله) طاعة المعصوم هو الذي امَرَ بها , طاعة المعصوم طاعَتُه سبحانه و تعالى . توحيد في الحاكمية , توحيد في الطاعة

:

في الأمر و النَهي : أنّ الأمر الذي يَجب الإلتزام به من الله و انّ النَهي الذي يَجب الإنتهاء عنه من الله , و امرُ المعصوم و نَهيُ المعصوم من هذا الباب , فَتوحيدٌ في الحاكمية , توحيد في الطاعة , توحيد في الامر و النهي

:

أنّ المحبّة و انّ المودّة الحقيقية لله , و أمّا أن نُحبَّ غير الله لأنّه في طريق حُب الله , حتى الإنسان في حُبِّه لأرحامه , لأقربائه , لأصدقائه , لأوليائه , لأي شيءٍ يكون الحُب و لذلك النبي الاعظم ماذا يقول صلى الله عليه و آله ؟ أليس من اوثَق عُرى الإيمان _ من أوثق عُرى الإيمان الحُبّ في الله و البغضُ في الله _ من أوثَق عُرى الإيمان , بل إنّما الدين الولاية و البراءة , بل إنّما الدين . في الروايات . الحُبّ و البُغض , و لذلك القرآن هذا المعنى واضح فيه (فَمَن يكفُر بالطاغوت و يؤمن بالله) لا بد من كُفران بالطاغوت (فقد استمسَكَ بالعروَة الوثقى لا انفصام لها) لا بد يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله , لا بد من كُفران و لا بد من ايمان , هناك ترابُط , فإخلاص المحبّة , إخلاص المودّة للباري سبحانه و تعالى هذا ايضا ضَرب أو مرتبة من مراتب التوحيد , توحيد المحبّة و المودّة .

:

توحيد المالكية : أنّ الإنسان يعتقد هكذا أن لا مالِكَ في الكون إلاّ الله , أليس النداء في يوم القيامة (لِمَن المُلك _ الملك لله الواحد القَهّار) و لذلك من جملة الادعية المُستحَبَّة انّ الإنسان حينما يَستيقظ صباحا من نومه , من جملة الادعية هذه الفقرات الواردة , انّه اصبَحنا و اصبحَ المُلكُ لله الواحد القَهّار , هذا المعنى يترَدَّد في الادعية و يُستحَبّ ذِكر هذا المعنى في الصباح حينما يَستيقظ الإنسان , اصبَحنا و اصبحَ المُلكُ لله الواحد القَهّار , توحيد المالكية , ان لا مالِكَ في الكون إلاّ الله سبحانه و تعالى .

كذلك التوحيد في التوكل والإستعانه :

التوحيد في التوَكُّل و الإستعانة : أصلا هذا المعنى نحن نقرأُه في كل صلاة (إيّاكَ نعبُد) هذا التوحيد العبادي (و إيّاك نَستعين) هذا التوحيد في الإستعانة (مَن استعانَ بِغَير الله ذَلّ) توحيد في التوَكّل , توحيد في الإستعانة , و بالنتيجة مراتب التوحيد كثيرة جدا لكن المراتب الاصلية هذه الأربعة الأولى لأنّ هذه المراتب الباقية تتفرَّع عن هذه المراتب الاربعة الاولى , المراتب الاصلية , التوحيد الذاتي , التوحيد الصفاتي و التوحيد الافعالي و التوحيد العِبادي , و القرآن اكّدَ كثيرا على التوحيدَين , الافعالي و العِبادي , و كذلك سائر انواع التوحيد المُتبَقّية اكّدَ عليها القرآن مراراً و تكراراً , لماذا ؟ لأنّها مُرتبطة , البعض يرتبط بالبعض الآخر , فالإنسان الموَحِّد , الإنسان المؤمن لا بد ان يعتقد بِكُل هذه المعاني من معاني التوحيد , في نفس الوقت يعتقد بالتوحيد الذاتي , بالصفاتي , الافعالي , العِبادي , يعتقد ان لا حاكم إلاّ الله , لا مالِكَ إلاّ الله , الامر و النَهي من الله , التوَكُّل على الله فقط , الإستعانة بالله فقط , الموَدّةُ لله و هكذا , حينئذ يَتكامل معنى التوحيد عند الإنسان , و هذه صورة موجَزة , هذه صورة مختصَرة عن معنى التوحيد , مُقتضَبة من خلال الروايات الشريفة , من خلال الآيات الشريفة , من خلال الادعية المُباركة , من خلال كلمات علمائنا رضوان الله تعالى عليهم التي سطَّروها و حبَروها في كتُبهم .

هذه صورة مختصَرة عن معاني التوحيد , يمكن ان اقول إلى هنا تَمَّ الكلام في مسألة الوحدانية , يعني الآن نحن بَحثنا المسائل التالية

اولاً بَحثنا مقدمة العقائد و السبب الذي يَحدونا لِبَحث العقائد . هذا أولاً

ثانياً بَحثنا الطرُق التي اعتمَدَها اهل الدراية في الوصول إلى معرفة عقائدهم .

ثالثاً بيَّنّا السبيل الذي نحن سنَسلكُهُ في دراسة العقائد .

رابعاً تناولنا مسألة التوحيد و شرَعنا في قضية اثبات واجب الوجود , في قضية اثبات وجوده سبحانه و تعالى .

ثم بعد ذلك شرَعنا في مسألة وحدانية الباري , في اثبات وحدانيته و في معنى وحدانيته .

و اليوم آخر شيء ذكَرناهُ بِخصوص معنى الوحدانية , مراتب التوحيد التي يَجب على الإنسان الموَحِّد ان يَعتنقها و ان يعتقدها بِحَسب ما جاءتْ في الآيات الشريفة و في النصوص المعصومية المقدسة .

و بِهذا يكون كلامُنا تَمَّ في مسألة وحدانية الباري , إن شاء الله في الاسبوع الآتي نشرَع في المسألة الثالثة من مسائل التوحيد و هي مسألة الصفات الإلهية , صفات الباري سبحانه و تعالى , ما معنى هذه الصفات ؟ مقدمة . كما قلتُ قبل قليل . نذكرُها بِخصوص معنى الصفات و هذا التصَوّر الموجود في مفاهيم الإنسان عن الصفات الإلهية و اقسام الصفات الإلهية باعتبار الصفات الإلهية منها ما هو ذاتي , منها ما هو فعلي , نُبَيِّن المطالب التي تتعلَّق بِهذا المعنى , وردَتْ في كتُب اصحابنا او في روايات المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين .

قبل ان اختم الكلام أُنَبِّه الإخوان , بالنسبة إلى يوم غد , درس القرآن إن شاء الله على رِسله , يعني نفس الموعد نُكمِل الكلام الذي لم نتمكن من اكماله في الاسبوع القادم , أمّا بالنسبة لِيَوم الخميس فَهذا الاسبوع درس الاخلاق نُعَطِّلُه , انا في البداية ايضا لَمّا شرَعنا نبَّهتُ الإخوان لذلك , قلتُ بالنسبة لِدَرس الاخلاق في يوم الخميس , إذا كنت متمكنا من اعطاء الدرس لأنّي موجود في قم فالدرس على رِسله , و أمّا قد أُسافر في بعض الاسابيع , في بعض الايام , فيُعَطَّل , بالنسبة لِهذا الخميس عندي سفَر فَلِذا درسُ الاخلاق يُعَطَّل إن شاء الله , أمّا بالنسبة لِمَجلس دعاء الندبة و الدرس في كتاب (الغَيبة) لا , على رِسله و في هذه الجمعة الدرس موجود , فقط درس الاخلاق يوم الخميس , ليلة الجمعة يُعطَّل , درس القرآن غدا أيضاً على رِسله , إن شاء الله غدا نتناول درساً آخر من دروس الكتاب الكريم .

بالنسبة للأسبوع الآتي , ايضا أُعطيكم صورة عن مواعيد الدروس , بالنسبة للأسبوع الآتي , يوم السبت درسُنا في نهج البلاغة و في العقائد على رِسله , يعني مثلما درَسنا اليوم ندرس في يوم السبت , أمّا يوم الاحد يُصادِف ليلة شهادة الصدّيقة الكبرى عليها السلام , الدرس يُعطَّل , فيَوم الاحد ليلاً , يوم الإثنين ليلاً , يوم الثلاثاء ليلاً المجلس منعقد هنا في نفس وقت الدرس في ذكرى شهادة السيّدة الزهراء سلام الله عليها , لأنّه في الروايات انّه في مثل هذه الايام شهادَتُها , ثالث عشَر , رابع عشَر و الخامس عشَر من شهر جمادى الاول , فَليالي هذه الايام و الذي يُصادف يوم الاحد , يوم الإثنين , يوم الثلاثاء , فَمِن الاسبوع الآتي فقط يوم السبت عندنا درس , يوم الاحد تشرَع مجالس الفاطمية بِحَول الله .

اسألُكم الدعاء جَميعا و آخر دعوانا ان الحمد لله رَبِّ العالَمين

ملاحظة :

1. **الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .**
2. **و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مُراعاة ذلك**

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)